

رقم الدرس ٩
الجمعة ١٥-٣-١٤٤٨ هـ

شرح كتاب التوحيد

لشيخ الإسلام/ محمد بن عبد الوهاب التميمي - رحمه الله -

الملقاة بمسجد النبي - صلى الله عليه وسلم -

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد بن محمد المختار بن محمد بن مزيد الجكني الشنقيطي
المدرس بالحرمين الشريفين

وعضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية

ومفوض الإفتاء بمنطقة المدينة المنورة

حفظه الله تعالى ونفع بعلمه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين

ملاحظة: هذه الدروس لم تُراجع من فضيلة الشيخ - حفظه الله -.

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قال الإمام المجدد - رحمه الله تعالى -: وللترمذي وحسنه عن أنس - رضي الله عنه - قال: ((سمعتُ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول: قال الله تعالى: يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)).

الشرح:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على أشرف الأنبياء والمرسلين وخيرة الله من الخلق أجمعين وعلى آله وصحبه ومن سار على سبيله ونهجه واستق بسنته إلى يوم الدين، أما بعد:

فقد ذكر الإمام المجدد - رحمه الله - هذا الحديث حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه وأرضاه -، وقد اشتمل هذا الحديث الشريف على فضل التوحيد وما جعل الله فيه من حسن العاقبة للعبد في الدنيا والآخرة، وهذا الحديث كما ذكر الإمام المجدد - رحمه الله - حسنه الإمام الترمذي، وقد تقدم معنا أنَّ الحديث الحسن يعتبر حجة كالحديث الصحيح، كما قال الناظم:

وَهُوَ فِي الْحُجَّةِ كَالصَّحِيحِ وَدُونَهُ إِنْ صِيرَ لِلتَّرْجِيحِ

وغايته ما في هذا الحديث أنَّ الرُّوَاةَ أَقْلُ ضَبْطًا مِنَ الرُّوَاةِ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ.

لأنَّ هذا قصرت رجاله في الحفظ دون منكر يناله

فهذا الحديث حجة، ويوصف بكونه ثابتاً عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

اشتمل هذا الحديث على نداء من نداءات رب العزة والجلال، والنداءات من الله - سبحانه وتعالى - ينادي بها بالخصوص، كندائه لنبي من أنبيائه: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ}، {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا}.

وينادي خلقه كما في قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ}، فهذا نداء عام، وينادي - سبحانه وتعالى - أبناء آدم على سبيل الخصوص، والمراد أن يجمع بين الذكور والإناث، أي ذرية آدم جميعاً ذكوراً كانوا أو إناثاً كما في حديثنا، فهو حصَّ بالذكور في قوله: ((يا ابن آدم))، لكنه عام شامل لذرية آدم عموماً.

فقوله: ((يا ابن آدم)) هذا نداء من الله -جلّ جلاله-، والنداء من الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- الذي اشتمل في هذا الحديث على نداء ابن آدم بعلم يعلمه الله إياه، وهذا العلم هو أشرف العلوم وأفضلها، وهو العلم بفضل توحيد الله -جلّ جلاله-، وبيان حسن العاقبة التي يجدها الموحّد الذي أخلص قلبه لله -جلّ جلاله-، وأنه موعود من الله بفضل عظيم.

إنّ الإيمان والتوحيد حبل متين بين العبد وربّه، من استعصم به نجا، ومن تمسك به ما ضلّ ولا غوى، وقد هُدي إلى الهدى.

الإيمان والتوحيد هو صلاح الدّين والدنّيا والآخرة، فنادى الله ابن آدم ونادانا جميعاً ونادى خلقه بهذا النداء الشريف الكريم، ما أطيب النداء إذا كان من ملك الملوك ومن إله الأولين والآخرين!

((يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا))، ((لو أتيتني)): كلنا إلى الله ماضون، وكلنا إلى الله منقلبون، وكلنا إلى الله راجعون، ((يا ابن آدم، لو أتيتني)): لأنك آتية لا شك في ذلك ولا مريّة: {وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا}، ستخرج من قبرك إلى حشرك ونشرك لتقف بين يدي ربك، وعندها تأتي بقراب الخير وقراب الشرّ، ويأتي المحسن بإحسانه بتوفيق الله -جلّ جلاله-، ويأتي المسيء بإساءته: {يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا}، فهذا اليوم الذي يلقي فيه العبد ربّه يأتي الله -جلّ جلاله- بما عمل إن خيراً فخييراً وإن شراً فشرّاً.

((لو أتيتني بقراب الأرض)) القراب: هو الغمد الذي يوضع فيه السيف، فلو أنّ العبد جاء بملء الأرض خطايا وذنوباً وعيوباً ورزايا.

((لو أتيتني بقراب الأرض)): لأنه إذا أتى ربّه فإنّ الله -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- يبعثه ويظهر بين يدي الله -جلّ جلاله- كل ما كان من العبد، منهم من عاش ألف سنة كما كان في الأولين عُمرُوا كقوم نوح ونحوهم، قد يعيش العبد ألف سنة، ولكنه يأتي بدقائق الدّرة من الحسنات والسيئات: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} إي والله كفى بالله حسيباً.

((أتيتني بقراب الأرض خطايا)): لأنّ الذّنْب خطأ، والإحسان والحسنة صواب.

((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثمّ لقيتني)): لأننا سنلقى الله، كلنا سيلقى الله حقاً حقاً وصدقاً صدقاً، {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ}، ولكن {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}: وبشر الموحّدين، وعد من الله، ولذلك كلما وجدت الإنسان فقد عزيزاً عليه ذكرّه بهذه الآية الكريمة: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ

مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}، مَنْ يَقُولُ: (سَتَلْقَانِي وَأَبْشُرُ)، وَهُوَ الَّذِي لَا يَخْلِفُ الْمِيعَادَ، وَالَّذِي يَقُولُ: (سَتَلْقَانِي وَأَبْشُرُ)، وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ وَالَّذِي يَقُولُ: (سَتَلْقَانِي وَأَبْشُرُ)، وَهُوَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ سُبْحَانَهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، لَكِنْ لِمَنْ؟ لِلْمُؤْمِنِينَ، {وَاتَّقُوا اللَّهَ}؛ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ، أَيُّهَا الْمُوَحِّدُونَ، {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ}؛ أَيُّ بَشَرِ الْمُوَحِّدِينَ.

((لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي))؛ كُنَّا سَنَلْقَى اللَّهَ الْبَرَّ وَالْفَاجِرَ، وَالْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، وَالْمَطِيعَ وَالْعَاصِي، ((أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا))؛ هَذَا هُوَ مَوْضِعُ الشَّاهِدِ، هَذَا هُوَ الْأَسَاسُ فِي الْخَيْرِ كُلِّهِ وَانْدِفَاعِ الشَّرِّ كُلِّهِ، وَهُوَ السَّلَامَةُ مِنَ الشَّرِّ.

((لَقَيْتَنِي))؛ وَالْحَالُ أَنَّكَ لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا، وَحَالُكَ حَالُ الْمَخْلَصِينَ الَّذِينَ لَمْ يَصِيْبْهُمْ دَنْسُ الشَّرِّ، الشَّرِّ: مِنْهُ الْخَفِيُّ، وَمِنْهُ الْجَلِيُّ، وَالشَّيْءُ الْجَلِيُّ كَانَ يَسْجُدُ لغيرِ اللَّهِ، وَيَعْبُدُ غَيْرَ اللَّهِ، وَيَصْرِفُ حَقَّ اللَّهِ لغيرِ اللَّهِ، هَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ، وَلَكِنَّ الْمَصِيبَةَ فِي الشَّرِّ الْخَفِيِّ: الرِّيَاءُ، وَالسُّمْعَةُ، وَمَحَبَّةُ الثَّنَاءِ.

((لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا))؛ مَنْ هُوَ هَذَا السَّعِيدُ؟ مَنْ هَذَا الْعَبْدُ الَّذِي عَاشَ حَيَاتَهُ فَصَلَّى اللَّهَ، وَرَكَعَ اللَّهَ، وَسَجَدَ اللَّهَ، وَدَخَلَ الْمَسْجِدَ وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ إِلَّا اللَّهُ، وَخَرَجَ مِنَ الْمَسْجِدِ وَلَيْسَ فِي قَلْبِهِ إِلَّا اللَّهُ، وَالتَزَمَ لَوَجْهِ اللَّهِ، وَسَارَ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَمَحَبَّةِ اللَّهِ، لَا يَفْكَرُ إِلَّا فِي الْإِخْلَاصِ لِلَّهِ، أَيْنَ هَذَا؟ هَذَا وَلِيُّ اللَّهِ الْمُؤْمِنُ، ((لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا))؛ الْقَلْبُ السَّلِيمُ: {إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ}، تَوْحِيدٌ وَسَلَامَةٌ مِنَ الشَّرِّ، تَوْحِيدٌ وَبَرَاءَةٌ مِنَ الشَّرِّ، أَنْ يَصْرِفَ مَا لِلَّهِ لغيرِ اللَّهِ لَا ظَاهِرًا وَلَا بَاطِنًا.

((ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَا تَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))، ((لَا تَيْتَكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً))؛ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ التَّوْحِيدِ، وَفَضْلِ السَّلَامَةِ مِنَ الشَّرِّ، وَلِذَلِكَ لَا تَحْمَلُ فِي الدُّنْيَا -رَحِمَكَ اللَّهُ- هَمًّا أَعْظَمَ مِنْ كَيْفِ تَوْحِيدِ اللَّهِ، وَكَيْفِ تَبَرُّأٍ مِنَ الشَّرِّ وَالْعِبُودِيَّةِ لغيرِ اللَّهِ -جَلَّ جَلَالُهُ-، تَتَعَلَّمُ كَيْفَ تَوْحِيدِ اللَّهِ، تَتَعَلَّمُ حَقُوقَ اللَّهِ وَالْعِبُودِيَّةَ لَهُ كَيْفَ تَكُونُ، وَلَا تَصْرِفُ شَيْئًا مِنْ هَذِهِ الْعِبُودِيَّةِ لغيرِ اللَّهِ، وَلَا تَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تَرْجُو إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تَسْأَلُ إِلَّا اللَّهَ، وَلَا تَسْتَعِينُ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَحْلِفُ إِلَّا بِاللَّهِ، وَلَا تَذْبُحُ إِلَّا لِلَّهِ، جَمِيعُ أُمُورِكَ كُلِّهَا لِلَّهِ: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ: {لَا شَرِيكَ لَهُ}؛ لَا تَرْضَ بِالشَّرِّ، وَلَا تَصْرِفُ شَعْبَةً مِنْ شَعْبِ قَلْبِكَ لغيرِ اللَّهِ، فَلَا يَرَاكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَلَا يَسْمَعُكَ وَأَنْتَ تَصْرِفُ حَقًّا مِنْ حَقُوقِهِ إِلَى غَيْرِهِ: {فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَخَشَوْنَ اللَّهَ}، {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ}؛ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، تَحْرِصُ عَلَى أَنْ تَتَعَلَّمَ هَذَا الْحَقَّ الْعَظِيمَ لِلَّهِ بِدَقَائِقِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ يَحَاسِبُ عَلَيْهِ، وَلِذَلِكَ كَانَ سَفِيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ يَقُولُ: (مَا وَجَدْتُ شَيْئًا أَشَدَّ عَلَيَّ مِنْ نَيْتِي؛ إِنَّهَا تَتَقَلَّبُ عَلَيَّ).

تأتي إلى مجلس من مجالس الخير تريد أن تسمع شيئاً يقربك إلى الله، فلربما أعجبت بشيء، ولربما رآك من يحبك أو تحبه، ولربما سمع الناس أنك حضرت وقُلت، وأنت فعلت، وعندها تعجب، وقد تكون اللحظة من العجب موجبةً لحبوط العمل -والعياد بالله-، فإن الله لا يرضى أن يُصرف شيء من حقه لغيره.

تتعلم كيف توحد الله، وتتعلم حقوق الله، تعرف ما لله وما لغير الله، فإذا جاءك أحد يريد أن يأخذ بمجامع قلبك في حق من حقوق الله لتصرفه لنبي أو ولي أو غيرهما، لا ترضى بذلك مهما قال ومهما فعل، تعيش على هذا حتى تلقى الله وأنت موحّد ((لا تشرك بي شيئاً))، ((شيئاً)) نكرة، ولذلك لو صُرف من حق الله أقلّ القليل فإنَّ العبد يهلك، المعاملة مع الله صعبة، بل عسيرة، لكنها من أيسر ما تكون إذا يسرها الله، ولذلك على المؤمن الموحّد دائماً أن يخاف من العجب، أن يخاف من الرياء، أن يخاف من أن يشرك بالله وهو يعلم، ويستغفر ربه ويعود به أن يشرك به وهو لا يعلم، وهذا هو شأن أهل النجاة والسلامة.

قال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى- في الحديث القدسي يقول: ((يا ابن آدم، لو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطَايَا، ثُمَّ لَقَيْتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابٍ مَغْفِرَةٍ))، ((لَأَتَيْتَكَ بِقُرَابٍ مَغْفِرَةٍ)): هذا يدل على فضل التوحيد، وهو موضع الشاهد من الحديث، من أجله أورد المصنّف -رَحِمَهُ اللهُ- هذا الحديث الشريف؛ لكي يبين أن من وحد الله ولم يشرك بالله شيئاً موعودٌ بأعظم مغفرة من الله -جَلَّ جَلَالُهُ-، وأن هذه المغفرة يغفر الله -عَزَّ وَجَلَّ- بها للعبد ولا يبالى.

((لو أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ)): ليس المراد به هذا القدر، بل هو كمثال، وإلا فمغفرة الله ليس لها حدود، ومغفرة الله عظيمة، فالله إذا غفر فمغفرته عظيمة، نسأل الله بعزته وجلاله أن يغفر لنا بمغفرته، وأن يعمّنا بواسع رحمته.

قال الإمام المجدد -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى-: [فيه مسائل: الأولى: سعة فضل الله تعالى]، يقول الإمام المجدد -رَحِمَهُ اللهُ-: [فيه مسائل: الأولى: سعة فضل الله -جَلَّ جَلَالُهُ-] ابتداءً -رَحِمَهُ اللهُ- بهذه المسألة، وقلنا: إنَّ مسائل (كتاب التوحيد) علم يدل على عظيم ما أنعم الله به على هذا الإمام الجليل، ونحن نقول: (الإمام المجدد)، فلن ترى عينك كتاباً جمع التوحيد في هذا الأزمنة المتأخرة، وصاغه بهذه الصياغة التي لخص فيها علم من سبقه من أئمة الإسلام ودواوين العلم، مثل هذا الكتاب، هذه ليست مبالغة اذهب وفتش عن الكتب، فإنك تجد صياغة التوحيد ومسائل التوحيد صعبة جداً

ومتفرقة في دواوين العلم، سواء كانت الأصول ككتب السنة وشروحها، وكلام أهل العلم فيها، أو الكتب المستقلة، لكن صياغته بهذه الصياغة التي ذكر فيها الحجج والأدلة، ترجم التراجم الدقيقة المليئة بالعلم، ثم أتبعها بالأدلة التي تُنظم أو تُوضع تحت هذا الباب أو هذه الترجمة، ثم جاء بالمسائل.

[فيه مسائل: الأولى: سعة فضل الله -عز وجل-]: تأمل -رحمك الله-: الباب (باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب)، إذا الباب يتعلق بجزئية من جزئية الفضائل، هناك فضائل، وهذه الفضائل إذا قلت: (الفضائل) فبأجها عام، يشمل فضائل الاعتقادات، وفضائل الأقوال، وفضائل الأعمال، كل شيء ورد في الكتاب أو السنة الدليل على أنه امتاز بميزة؛ لأن الفضل: هو الزيادة، فإذا امتاز بميزة، ودكرت له هذه الميزة كآثر من آثاره في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معاً فهذا فضل، أي زيادة لهذه العبادة أو هذا القول.

فلما قال: ((باب فضل التوحيد)) أي الزيادة التي خصه الله بها.

وهذه الزيادة لو تأملتتها: جمعت جميع الفضائل دون مبالغة، فالتوحيد جمع الفضل كله؛ لأنه لا فضل إلا بعد التوحيد، فالله لا يتقبل قول القائل ولا عمل العامل ولا سعي الساعي إلا بعد التوحيد؛ لأن العبادة لا تكون عبادة إلا بالتوحيد والخلوص من الشرك.

فإذا التوحيد هو مفتاح الفضائل كلها، وأساس الفضائل كلها، وقاعدة الفضائل كلها دون مبالغة؛ لأنه هو الأصل والأساس، ولذلك قال له: ((قل آمنت بالله، ثم استقم))، فالفضل كله مبني على التوحيد، والتوحيد هو أساس الخير، ومنبع الفضل في الدنيا والآخرة.

قال -رحمه الله-: [سعة وسعة فضل الله -تبارك وتعالى-] انظر إلى علم هذا الإمام، أنه لما عقد هذا الكتاب في التوحيد الذي هو حق الله للعبيد، وجاء في هذا الباب في بيان فضل التوحيد، إذا به يأتي في أول مسألة ويقول: [سعة فضل الله -تبارك وتعالى-]، جاء بالقاعدة العامة، يعني أن فضل الله لا ينحصر، وأن فضل الله فوق ما يتخيله الإنسان، وفوق ما يتصور، وليس هناك شيء يفرح به ولي الله المؤمن، وأمرنا الله أن نفرح به مثل الفضل والرحمة، وكل من فضل الله ورحمته فهو في سعة لا يعلمها إلا الله: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا}، {قل بفضل الله وبرحمته}: فضل الله لا حد له ولا قيد له، واسع، له الفضل العظيم، ولذلك وصف الله فضله: {والله ذو الفضل العظيم}، اللهم إنا نسألك من فضلك.

الفضل من الله عظيم، ولذلك قال الله -عز وجل-: **{قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ}**، ففضل الله عظيم، ورحمته أيضاً عظيمة، ولذلك قال: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}**، وهي رحمة عامة شاملة للمؤمن والكافر، والبر والفاجر، فالشمس تجري لمستقر لها، فيها مصالح العباد في دينهم ودنياهم وآخرتهم، من الذي ساقها؟ من الذي قدرها؟ من الذي خلقها؟ من الذي جعل فيها هذه الفضائل كلها؟ الله برحمته، **{وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ}**، فهو سبحانه فضله عظيم، ورحمته عظيمة.

فإذا بالمصنف الإمام المجدد -رحمه الله- يقول: أول مسألة: **[سعة فضل الله تعالى]**، وهذا الفضل الواسع لا ينحصر في شيء، ولا في أمر، بل إنه في رحمته العامة تشمل المؤمن والكافر، لكنها للمؤمن تكون خاصة، ولذلك قال: **{وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ}** هذه عامة، **{فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ}** هذه خاصة، فالرحمة العامة والخاصة واسعة من الله -جل جلاله-.

فالإمام المصنف يقول: **[سعة فضل الله -تبارك وتعالى-]**، وإذا كان فضل الله عظيماً، وقلنا: إن التوحيد الفضل فيه أعظم الفضل، فمعنى ذلك: أنه في أعلى المراتب وأسنائها وأشرفها وأزكاها، ففضل التوحيد والسلامة من الشرك أعظم فضل من الله يتفضل به على عبده، ولذلك لا تجد الإنسان يؤمن أو يسلم قلبه لله -عز وجل-، ويسلم من الفتن والمحن والشكوك والشبهات والشهوات والخطايا والرزايا والذنوب والسيئات، لكن الله يسلمه منها: **{أَحْسِبِ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ}**، هذا استبعاد، لا يمكن أن يكون ذلك، لكن الله إذا أراد أن ينجي عبده فهو فضل منه ونعمة منه ورحمة منه، ورحمة الله ونعمته وفضله واسع، ولذلك بين الله -سبحانه وتعالى- أن فضله واسع.

ذكر الإمام المصنف هذه المسألة الأولى: **[سعة فضل الله -عز وجل-]**، الكتاب (كتاب التوحيد)، وهو يتكلم على فضيلة خاصة، أصبحت أشجان المصنف الإمام -رحمه الله- كلها تدور حول عظمة الله -جل جلاله- وحقه في إفراده بالعبادة، فلما ذكر الفضل في التوحيد استفتح بعظيم فضل الله -عز وجل-.

[سعة فضل الله -عز وجل-]: لا تظن أن فضل الله مهما ذكر في النصوص والآيات خاص بشيء معين، بل هو عام، **{وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ}**.

[الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله]، **[كثرة ثواب التوحيد عند الله]**: العجيب أن هذا السفر المبارك تجد المسألة مستنبطة من الكتاب والسنة، ولذلك من عادى هذا الكتاب نسأل الله أن يهديهم ويصلحهم، ويقطع دابر من عاند منهم وكتب له الغواية، ميزته: أنه تجدهم ينتقدون من يسير على هذا النهج، لكنهم لا يستطيعون أن يتكلموا في الكتاب، ولا أن يتكلموا في علمه، وانظر إلى ردودهم، كلها أوصاف، كلام بعيد عن الجوهر والحقيقة، لكن أنهم جاءوا وقالوا: (إن المصنف وضع آية في غير موضعها، أو حديثاً في غير موضعه)، ما وجدت أحداً يستطيع أن يقولها، (أو استشهد بشيء استشهداً غير صحيح)، أبداً، علمه علم دقيق - رحمه الله برحمته الواسعة -، وهو لما اختاره الله واصطفاه لبيان هذا الحق العظيم، وهو حقه - سبحانه وتعالى - وإفراده بالعبادة اصطفاءً تجد أثره في علمه، وتجد - سبحانه وتعالى - ما شاء الله تبارك الله لا قوة إلا بالله، حباه الله - عز وجل - من عفة اللسان وشرف الكلمة والمنطق.

ويقول - رحمه الله - **[الثانية: كثرة ثواب التوحيد]** في بيان فضل التوحيد، أنت لما تجد أن الله - عز وجل - يقول في الحديث القدسي: ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً لأتيتك بقرابها مغفرة)) هذا شيء سهل؟! ليس بالشيء السهل، وهذا في تكفير الذنوب، وتكفير الخطايا، وهذا يدل على أن التوحيد له شأن عظيم عند الله - عز وجل -، إذا قيل على العبد باب الذنوب والمعاصي فقد نجا وفاز فوزاً عظيماً؛ لأن الذنوب هي التي تدخل النار، والذنوب هي التي تنتهي بالعبد إلى النار: {ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ}، {فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ}، الكسب السيئ من الذنوب والسيئات ينتهي بصاحبه إلى النار، فإذا كان هذا كله يُغفر بالتوحيد بعد فضل الله - عز وجل -، فأني شيء هذا الشيء؟!

فأصبح يطفى غضب الله على العبد حتى إنه تُغفر ذنوب العبد، والله يغفرها ولا يبالي؛ لأنه لا تنفعه طاعة المطيعين، ولا تضره معصية العاصين.

[الثانية: كثرة ثواب التوحيد عند الله]، **[كثرة ثواب التوحيد]**: الثواب: الجزاء، ولذلك ثواب التوحيد ليس منحصرًا بشيء معين، فيه أشياء كثيرة من الفضائل والنوائل.

[الثالثة: تكفيره مع ذلك للذنوب]، **[تكفيره مع ذلك للذنوب]**: الثواب جاء في حديث عتبان، وجاء في حديث عبادة بن الصامت في صدر الكتاب، بين النبي - صلى الله عليه وسلم - أن ((من قال: لا إله إلا الله خالصاً)) أي يبتغي بها وجه الله، أي خالصاً مخلصاً لوجه الله، ((أنه يدخله الله

الجنة))، وبين أن ((من قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق، وأن النار حق)) ماذا العاقبة؟ ((أدخله الله الجنة)).

إذا الأولى: ثواب في الحديثين، والثانية: ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة)) تكفير للذنوب، وأعظم ما يكون في يوم القيامة أمران: الأمر الأول: ما يكون من الثواب والجزاء الحسن، أن الله يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، والأمر الثاني: أن يمحو ذنب العبد.

فالتوحيد والسلامة من الشرك يفوز صاحبها بالأمرين:

أولاً: عظم الثواب بدخول الجنة، والله -عز وجل- يقول: {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ}، فجمع الله بين الأمرين: السلامة من الذنوب في قوله: {فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ}؛ لأن الذي يوجب دخول النار هو الذنب، فإذا زُحِرَ عن النار معناه أنه سَلِمَ من الذنوب، {وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ} هذا الثواب، {فَقَدْ فَازَ}، اللهم اجعلنا منهم برحمتك يا أرحم الراحمين.

فالإمام المصنف -رحمه الله- ذكر الأمرين اللذين اشتملت عليهما الآية الكريمة في سعادة الآخرة، ونجاة الآخرة، أن يكون الثواب عظيمًا، وهو دخول الجنة، وأن يكون العبد سألًا من ذنوبه، قد كُفِّرَ عنه خطاياه، فقال -رحمه الله-: [كثرة ثواب التوحيد] هذا الأول في حديث عتبان وعبادة -رضي الله عنهم-، والثالث تكفيره للذنوب والسيئات في حديث أنس بن مالك -رضي الله عنه- ((لو أتيتني بقراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرة))، الله أكبر! ولذلك تجد الإمام المصنف يقول: لابد من تحقيق الأمرين: التوحيد، والسلامة من الشرك.

ولما جاء في الفضائل حتى إن البعض يعجب: كيف جاء بحديث أنس بن مالك، وهو حديث حسن، وهناك أحاديث متفق عليها في الصحيحين؟! لكنها في كثرة الثواب، لكن هنا في تكفير الذنب بترك الشرك خصوصًا، وهو يركز على هذه الجزئية، أن العبد لا يقتصر على التوحيد ويضيع حق الله بالإشراك، ولذلك تجد بعضهم يقول: (لا إله إلا الله)، وهو يصرف حق الله لغير الله، فهو يريد أن يُنْبَهَ على ارتباط الأمرين معًا في المقصد وفي المال والثواب والجزاء من الله -عز وجل-، فجمع الله للموحد بين دخول الجنة، وتكفير الذنب.

ودخول الجنة في حديث عبادة بن الصّامت المتفق عليه، وكذلك في حديث عتبان بن مالك -رضي الله عنهما-، وهنا بين في حديث أنس أنه يكفر الله الخطايا بترك الشرك: ((ثُمَّ لَقِينِي لَا تَشْرِكْ بِي شَيْئًا))، ولذلك قد يكون الإنسان من أهل التوحيد، وعنده الرّياء، وعنده يسير الرّياء، وعنده السُّمعة، فهذا جزء من الإشراك، أشرك مع الله غيره في نيّته، وعُجب بعمله، وظنّ أنه بحوله وقوّته، إلى غير ذلك، ولذلك العبد يتفقّد نفسه حتى يخلص لربّه، ويوحّد الله حقّ توحيده:

أولاً: بإفراده سبحانه بالعبادة، وثانياً: الخلو له من الشّرك -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

فبيّن المصنّف -رحمه الله- كلا الأمرين: كثرة جزاء الذي أعدّه الله، وهو جزاء دخول الجنة، وما أعدّ الله من تكفير الذنوب بترك الشرك.

[الرابعة: تفسيره الآية التي في سورة الأنعام]، [تفسيره الآية التي في سورة الأنعام]: هذه مسألة لوحدها ذكرها الإمام المجدّد -رحمه الله-، ما قال: (تفسير قوله تعالى: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ})، انظروا كيف المؤلّف حينما تكون صياغته للعلم، يعني ما شاء الله إن قصد ذلك فهذا ليس بغريب، وإن لم يقصد فهو من توفيق الله له، أنت لما تأتي وتقول: (تفسير قول الله -عزّ وجلّ-: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ})، إذا عرف القارئ أنّها هذه الآية، لكنه قد لا يكون حافظاً للقرآن، فلا يعلم أنّها من سورة الأنعام، لكن جاء بالآية في الصدر، ثم قال: **[تفسيره الآية التي في سورة الأنعام]**، وهذا يسلكه كثيراً؛ ليعلم أولاً أنّها من سورة الأنعام، ولذلك قال: **[آية سورة النساء التي تُسمّى آية الحقوق العشرة]**، إذا هناك نوع من العلم في معرفة الآيات، وأيضاً اختياره وانتقائه للآيات، ليس هذا فقط سرّاً للنصوص، ويقول: **[تفسيره الآية التي في سورة الأنعام]**، فتعلم أنّ في سورة الأنعام آية في فضل التوحيد، مع أنّ في غير سورة الأنعام آياتٌ أخرى، لكن هذه الآية لما جاءت وبيّن الله فيها في قوله: {فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، هذا من إبراهيم -عليه السلام- يحتاج به قومه، فردّ الله من فوق سبع سماوات: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}، فبيّن الله {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، لاحظوا: توحيد وسلامة من الشّرك، انتبهوا وركّزوا على الأمرين، البعض يهتم بالتوحيد، لكنه يُغفل جانب الشّرك وصرف حقّ الله لغير الله، ولذلك الله جمع بينهما، تعلم لماذا المصنّف دائماً يركّز على الأمرين معاً، {الَّذِينَ آمَنُوا}: هذا توحيد، {وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، ما هي النتيجة والثمرة؟ {أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ}، الأمن من الله -عزّ وجلّ-، الكلمة هذه (الأمن) جمعت سعادة الدّين والدّنيا والآخرة، {أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ}: أي

أنهم إن عاشوا في الدنيا فهم في أمنٍ من الله لا خوفَ معه، ولذلك تجد المؤمن الموحد والله لو أُرهبته بملء الأرض من جنودها، فإنه بإيمانه بالله وتوحيده لله -عزَّ وجلَّ-، والله لن يدخل قلبه ذرَّةً من خوفٍ؛ من كمال التوحيد والإيمان؛ لأنه آمنٌ بأمن الله: {فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى} * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى}، الذي مع الله فهو في غاية العزة والكرامة والأمن والأمان، ولذلك: {الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ}، ما قال: (وهم المهتدون)، {أُولَئِكَ}: دليلٌ على علوِّ المقام وشرف المقام، {أُولَئِكَ}: (الآمنون)، لا، {أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ}، كأنَّ الأمنَ حازوه وساقوه إليهم.

تجد المؤمن الموحد، جيء برجلٍ من عباد الله، والقصة مشهورة، في أواخر العصر العباسي، وهذا الرجل مكر به الماكرون، ووَشَى به الوشاة، وكان عند أحد القواد لخلفاء بني العباس، شديد البطش، وشديد الأذى، فجِئ به هذا الرجل مكبلاً، وكلُّهم أخذوه وأدخلوه، وهو لا يفتر عن ذكر الله، قائماً يذكر الله وقاعداً حتى عجب من معه كيف حاله، فدُعي لأجل أن تُضربَ رقبته، فلما جيء به وجلس بين يدي هذا القائد، وهو في حنقٍ شديدٍ عليه، وكأنه ينتظرُ منه أنه خاف، وهو لا يفتر عن ذكر الله، فقال له: ما الذي أنت فيه وأنت تنتظر الموت؟ يعني سأقتلك، فكان في يده مثلُ الريشة، فقال: (لن تسقطَ هذه الريشة من يدي إلا وقد أبرم الله أُلوفَ الأوامر في أمري وأمرك)، ما انتهى من كلمته إلا وثورة الزنج قد دخلوا على القائد وغيره، وفتكوا بأهل بغداد، وسفكوا فيها الدماء، وخرج الرجل حياً سليماً، وقُتل صاحبه.

الشيء الذي يكون بإسلامٍ وتوحيدٍ وإذعانٍ لله -عزَّ وجلَّ- لن تجد صاحبه يُسلم قلبه لغير الله مهما كان الأمر، يقولون: (إنَّ فلاناً مريض)، فيقول: (الله يشفيه)، ويقال له: (ابنك أصابه كذا)، فيقول: (الله يحفظه)، {أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ}: التوحيدُ الأمانُ مع الله، سِلْمٌ وأمنٌ لا خوفَ معه أبداً، {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ} متى؟ في أشدِّ لحظات الدنيا كلها، لن تمرَّ عليك لحظة أعظم ولا أشدَّ من لحظة فراق الدنيا، اللهم هوِّن علينا سكرات الموت، فقال الله -عزَّ وجلَّ-: {تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا}.

إِذَا {أُولَئِكَ هُمُ الْأَمْنُ} تُفسِّرُها الأحاديثُ التي ذكرها المصنِّف -رحمة الله- أنه يتحقَّق لهم أمران: الأمر الأول: أنهم من أهل الجنة، وهذا هو غايةُ المنى، وغايةُ ما يطلبه العبدُ، من أجله أنزل الله كتبه، وأرسل رسله، من أجل أن يفوزَ الناسُ بجنَّته بتحقيق عبادته والعبودية له -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-.

وثانيًا: أن يكون من الناجين من غضب الله وسخطه، نحن بشرٌ وعندنا الذنوبُ، وعندنا الخطايا، وفيها العيوبُ، فإذا تولى الله ذنوبك بغفرانه وعفوه ومغفرته فإنها غاية ما يكون من سعادة العبد، {أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ}؛ فأمنوا من عذاب الله، وأمنوا من مكر الله، وأمنوا من سخط الله، وهذا أعظم ما يكون للعبد، أنت إذا سلمت من غضب الله وعقابه، ولذلك استعاذ النبي -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- من غضبه وعقابه وشرّ عذابه -صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ-، {أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ}، [تفسيره الآية التي في سورة الأنعام]: فسرها ما بعدها من النصوص، إذا معنى ذلك: أن الإمام المصنّف في ذكره للآيات والأحاديث يقصدُ أمرًا في ترتيبها، فذكر الآية فقال: [تفسيره الآية التي في سورة الأنعام]، فنعلم أن ما بعدها؛ لأنَّ السُّنَّةَ مَبِينَةٌ للقرآن: {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ}، فجاءت السُّنَّةُ تَبَيُّنُ الْأَمْنِ، والأمنُ أنه يفوزُ بالجنة، وينجو من النار، وهذه غايةُ الأمن، اللهم اجعلنا من أهلها، ولذلك قال -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: ((أَيُّهَا النَّاسُ، أَطْعَمُوا الطَّعَامَ، وَأَفْشُوا السَّلَامَ، وَصَلُّوا الْأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ، تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ بِسَلَامٍ))، إذا هذا أمنٌ بِسَلَامٍ، ((بِسَلَامٍ)) يعني آمنون من كلِّ شيءٍ، سالمون من كلِّ بلاءٍ، وهذا غاية ما يكون أن يدخل العبد الجنةَ بغير حساب، ولذلك سيذكرُ المصنّف -رَحِمَهُ اللهُ- الباب: [بَابُ مَنْ حَقَّقَ التَّوْحِيدَ دَخَلَ الْجَنَّةَ بَغَيْرِ حِسَابٍ]، اللهم اجعلنا منهم.

فإذا المصنّف -رَحِمَهُ اللهُ- في ترتيبه للآيات له غرضٌ، لذلك ينبغي على مَنْ يقرأ (كتاب التوحيد) أن ينتبه لترتيب الإمام المصنّف للآيات.

يقول -رَحِمَهُ اللهُ-: [الخامسة: تأملُ الخمسِ اللّوَاتِي فِي حَدِيثِ عِبَادَةٍ]، [تأملُ الخمسِ اللّوَاتِي فِي حَدِيثِ عِبَادَةٍ] بن الصامت -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ-: ((مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ حَقٌّ، وَأَنَّ النَّارَ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ)).

إذا هذه الخمسُ تأملُها، فتجد أن الله ابتداءً أول ما ابتداءً فيها بماذا؟ بشهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، كلُّ الخمس هذه الموجبة لهذه العاقبة وهذه السَّعادة العظيمة في الدنيا والآخرة، أولها: شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وبيّننا هذا الحديث وشرحناه، وبيّننا معانيه، لكنَّ المصنّف هنا في المسألة يقول: [تأملُ الخمسِ اللّوَاتِي] تأمل، ودائمًا يشيرُ إلى (تأمل، تفهم)؛ لأنه -رَحِمَهُ اللهُ-

يسلك مسلك التنزيل، ولذلك: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي النُّهَى} جمع نُهيّة، وهم أهل العقول، {أَفَلَا يَتَذَبَّرُونَ؟} {أَفَلَا تَعْقِلُونَ؟} {إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ}، {إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ}.

إذا التأمّل والتدبّر، من كان من أهل التفكير والتدبّر في كتاب الله -عزّ وجلّ- فقد وضع قدمه على أول طريق السعادة؛ لأنّ الله تكفل لأهل القرآن بالسعادة، وأول مفتاح لسعادة القرآن التدبّر، لا يمكن أن يسعد أحد بالقرآن إلا إذا تدبّره، {كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ}.

والله لو أنك اعتدت على أمرين: إذا سمعت، وإذا قرأت، أن تقف عند كل آية من كتاب الله، فوالله سيفتح الله عليك من مفاتيح الخير في دينك ودنياك وآخرتك، وما حرّم الناس بركة القرآن إلا بضياح هذين الأمرين، التفتوا إلى التطريب والتعني، وأخذنا نلتفت إلى القارئ، ولم نلتفت إلى ما يُقرأ، نعم ((زَيِّنُوا الْقُرْآنَ بِأَصْوَاتِكُمْ))، ((زَيِّنُوا)): هذا كمال، الجوهر أين؟ {لِيَدَّبَّرُوا}.

((زَيِّنُوا)): الزينة بإجماع العلماء هي في الكمالات، ولذلك ((زَيِّنُوا الْقُرْآنَ))، القرآن في غاية الجمال، لكن تزيينه بأصواتكم، يُزَيَّنُ في الصوت والإلقاء، لكن القرآن بذاته: {أُحْكِمْتَ آيَاتِهِ ثُمَّ فَصَّلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}، بلغ الجلال والجمال، أليس هناك كلام أتم منه؟ {وَمَتَّ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا}.

إذا رُزقت التدبّر، وأصبحت إذا جئت تصلي أو سمعت قارئاً للقرآن، إني لأعلم أقواماً أحبوا القرآن، وفتح الله عليهم بمحبة القرآن بهذا السر العظيم، وهو التدبّر، حتى إن من شدة تدبّره ما وجدوا من خيرات التدبر ونعم الله في التدبر، والله إن الواحد منهم ليمر في طريقه ويسمع قارئ القرآن يجلس؛ لأنه قد شغل بالآية التي يقرأها القارئ، ولا يمضي ولا يمر؛ لأنه يعلم أنها غذاء روحه، كم غفلنا عن كلام ربنا، بالتفكير والتدبّر والتفهّم هذا مفتاح السعادة، العلماء الراسخون من ذاق لذة الشيء وعرفها، فإنه يعرف كيف يتحدّث، كيف يصبح عنده الشّغف في لفت نظر الناس إلى ذلك.

تجد هذا الإمام -الذي نحسبه ولا نزكيه على الله- اختاره الله لهذا الأمر العظيم، وهو توحيد الله -عزّ وجلّ-، لما تلذذ بكلام الله، لما عرف معانيه ودلالاته، (تفهّم، تدبّر، انظر)، ولذلك هذا الأمر الذي هو تفهّم القرآن وتدبّره أخطر وأخوف ما يخافه الشيطان منك.

ثق ثقة تامة لو خلّي بينك وبين التدبّر لفتح بينك وبين أبواب السعادة، الجن لما سمعوه {قَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا}، انتهت إليه علوم العلماء وحكمة الحكماء، كل من رزقه الله عقلاً، وكل من رزقه الله بصيرةً، إذا استنفذها في القرآن ووضعها في القرآن، لوجد العجب العجيب، ولذلك تجد الشيطان

قعد للإنسان في هذا الأمر بالرصد، بمجرد أن تأتي تدخل في الصلاة وإذا به يأتيك بوساوس الأمور كلها؛ لأنه يعلم أنك متى ما خشعت وأنت تسمع وتدبر وتفهم وتأمل، أنه قد فتح عليك أبواب الخير، وأبواب الخيرات والبركات في الدنيا والآخرة.

ولذلك الإمام المصنف -رحمه الله- ينبه على التأمل، وسيأتي في مواضع: (تأمل، تفهم)؛ لأن العلماء يعتنون بذلك، وتجدهم يحترقون؛ لأنه يذوق لذته، {إني آمنت بربكم فاسمعون}، هذا التوحيد، {إني آمنت بربكم فاسمعون} * قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومي يعلمون، {يا ليت قومي يعلمون} * بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين، التفكير والتدبر لما تنظر وتعطي آيات الله وكلام الله حقها من التفكير والتدبر.

فالتدبر لكتاب الله -كما ذكرنا- أساس الخير والفلاح والصلاح والنجاح في الدين والدنيا والآخرة، ولما كانت السنة مثل القرآن، ولذلك قال -صلى الله عليه وسلم-: ((ولقد أوتيت القرآن ومثله معه))؛ لأن الكل من الوحي: {وما ينطق عن الهوى} * إن هو إلا وحي يوحى، فالأحاديث ينبغي تأملها وتدبرها، وكم وجدنا في شروح العلماء والأئمة من وصايا في تأمل الفوائد الموجودة من الأحاديث حتى في لفظ الحديث، في ترتيب جملة ومسائله وأحكامه، كل هذا كان العلماء يعتنون به. فالإمام -رحمه الله- يقول: [تأمل الخمس اللاتي في حديث عبادة -رضي الله عنه-]، [الخمس اللاتي في حديث عبادة]: كلها -كما ذكرنا- هي من التوحيد، (شهادة أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له)، ((من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله)): هذه شهادة بالرسالة، وهي من أركان الإيمان الستة: الإيمان بالله ورسوله، وأن تشهد ((أن عيسى عبد الله ورسوله)): تأمل قال: ((عبد الله ورسوله)) إذا لا غلو فيه ولا إجحاف، فأنت على صراط الذين أنعم الله عليهم غير المغضوب عليهم الذين انتقصوا عيسى، وقالوا في مريم بهتاناً عظيماً، وكذلك الذين هم ضدّهم الذين غلوا في عيسى وجعلوه إلهاً، وغلوا في مريم، فالله -عز وجل- جعل هذه الأمة وسطاً بينهم، فشهدوا ((أن عيسى عبد الله)): فسلموا من الغلو، ((ورسوله)): فسلموا من الإجحاف.

فقال: [تأمل الخمس] سلموا من الغلو والإجحاف، ((أن عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته ألهاها إلى مريم وروح منه)): وقد شرحنا هذه الجملة، وبيننا المراد بها، فهذه حقيقة عيسى -عليه السلام-. ((وأن الجنة حق، وأن النار حق)): وهذا الإيمان باليوم الآخر، وهو ركن من أركان الإيمان الستة، تأملها.

❀ ❀ ❀ ❀ ❀ الأسئلة ❀ ❀ ❀ ❀ ❀

جزاكم الله خير الجزاء فضيلة الشيخ، وأسعدك وولديك سعادة الأبرار، وجعلك الله في حرزه وحفظه وجواره وتحت كنفه.

السؤال الأول:

فضيلة الشيخ، اعتاد بعض الناس في اليوم الثاني عشر من هذا الشهر الاحتفال بالمولد النبوي فهل له أصل؟ وما نصيحتكم لمن يفعل ذلك؟ جزاكم الله خيراً؟

الجواب:

باسم الله، الحمد لله، والصلاة والسلام على خير خلق الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فقد تقدم أكثر من مرة أن المولد بدعة من البدع التي لا دليل عليها، لا من كتاب الله، ولا من سنة النبي -صلى الله عليه وسلم-، فلم يفعلها النبي -صلى الله عليه وسلم- في حياته، وكذلك أصحابه من بعده، الخلفاء الراشدون وأهل القرون المفضلة كلهم لم يخصصوا يوم مولده بشيء إلا ما وردت به السنة عن رسول الله -عليه الصلاة والسلام- من صومه شكرًا لله -عز وجل-، وليس احتفالاً حتى يُقاسَ عليه، وتُفتح أبواب الأقيسة، هذا دين، وهذا شرع.

فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لو علم أن الاحتفال بمولده قربة وطاعة فإنه لم يخرج من الدنيا إلا وقد دلنا على كل خير، ونهانا عن كل شر، فكون الإنسان يأتي ويقول: (هذا من دين الله، وهذا من شرع الله، وهذا نتقرب به إلى الله)، قد أدخل في دين الله ما ليس منه، وقد قال -عليه الصلاة والسلام- كما في الحديث الصحيح عن أم المؤمنين عائشة -رضي الله عنها-: ((مَن أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد)).

فلنتق الله -عز وجل-، ولنلتزم بهدي الشرع، وإن كان الإنسان يريد السنة فيصوم يوم الاثنين، فهو لم يخص اليوم الثاني عشر، ولذلك لو أن شخصاً صام اليوم الثاني عشر بخصوصه لكان صيامه بدعة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وبارك على نبينا محمد.